العتبة العباسية المقدسة

الخميس

أسبوعية ثقافية

السنة السادسة
العدد ٣٢١

الخميس ٣ رمضان ١٤٣٢هـ - ٤ آب ٢٠١١م

تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

٢ كلمة حق

وأعلمية أهل البيت - وعلى رأسهم الإمام علي (عليه السلام) - من الحقائق التي لا مراء فيها ولا جدال، وقد اعترف بذلك أبو بكر الصديق وخليفته أبو حفص. واستمر الحال إلى زمان عثمان حيث استولى بنو أمية على مقاليد الأمور في الدولة الإسلامية، وتصرفوا في كل شئ حتى هيمنوا على السلطة تماما، فتغير الحال وحورب أهل البيت، وحوصرت أقوالهم، وسلب حقهم في المرجعية الدينية فضلا عن الخلافة. واستمر الحال هكذا إلى آخر يوم في الدولة العباسية، فنشأ الناس على ترك أهل البيت.

ثم إن الحصار في دولة بني أمية لم يقف على إبعاد أهل البيت النبوي عن المرجعية فحسب، بل تعدى إلى ابرازهم بنحو يؤدي إلى نفور الناس منهم، ولهذا الغرض استنوا سب الإمام علي (عليه السلام) أكثر من خمسين عاما.

وضرب الحصار على من يرجع إليهم في أمور دينه، وقتل من لم يطلق لسانه فيهم بالسباب والشتم، وهيئت الفرص لمن يسبهم ويجافيهم. وأمر معاوية الناس في بقاع الدولة بإبراز محاسن غيرهم في مقابل ما أبرزه النبي (صلى الله عليه وآله) من محاسن لهم، ثم قتلوا بعد ذلك شر تقتيل، فليس منهم إلا مسموم أو مقتول.

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته! فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته. وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام (١).

والسؤال الذي يطرح ببراءة: لماذا حارب الأمويون طيلة حكمهم هذا علماء أهل البيت؟ ولأي شئ قتلوهم؟ ولماذا نسج على منوالهم العباسيون؟

وقد يجيب أحد بأنهم نافسوهم في الحكم والسلطة.. ولكن، هل كان أهل البيت يعارضون حكم الأمويين لو كان قائما على ما جاء به الوحي وقضى به النبي (صلى الله عليه وآله)؟! وهل كان من الوحي سب الإمام علي أو قتل الإمام الحسين بالصورة الوحشية التي عرفها التاريخ؟! أو كان من الوحي إطعامهم السم الزعاف؟! وهل كان أبناء الرسول يحبون السلطة من أجل السلطة والحكم؟ وما ذا تضرر العباسيون من عترة النبي (صلى الله عليه وآله) حتى انتهجوا معهم ما انتهجه الأمويون؟

المستبصر طارق زين العابدين

. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾

روي عن النبي ﷺ قال: » قال الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم هو له غير الصيام هو لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة العبد المؤمن يوم القيامة (١) كما يقي أحدكم سلاحه في الدنيا، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله عز وجل من ريح المسك، والصائم يفرح بفرحتين: حين يفطر فيطعم ويشرب، وحين يلقاني فأدخله الجنة «. وقال ﷺ: « إن الشيطان ليجري في ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع «.

فكأنَّ الصوم على الخصوص أشد قمعًا للشيطان من سائر العبادات،فهو يكسر الشهوة ويضعف القوة، فالصيام يَعدُّ النفس لتكون مورداً للنفحات الرحمانيّة، ومحلاً لهبوط الفيوضات الربّانية، فتخرج النفس بالصيام من قعر الظلمة لتكون في دائرة النور في هذا الشهر الشريف، فقوله تبارك وتعالى -في الحديث القدسي-: » الصوم لي» يعني أنّ كلّ الفرائض قد تكون مشتركة فيما بين الله وبين المخلوق، فالزكاة مثلاً عملية إنماء، والخمس عملية تطهير، والجهاد هو الفوز والمغنم، وما إلى ذلك من فرائض، بحيث لو قسّمتها وأتيت عليها واحدة واحدة، تجد الإشتراك فيما بينها في الفائدة، بمعنى أنّ الفائدة تعود إلى الإنسان، والعبادة يتوجّه بها إلى الله تعالى، أمّا الصوم فلا شراكة فيه; لأنّه لله تعالى مطلقاً، وأمّا قوله: «وأنا أُجزي به» يعني: أنّ الصائم جزاؤه عليّ، وأنا أجازيه. أي أعطيه جزاء صومه لي الجنّة.

والصوم: هو توطين النفس على الكف عن تعمد تناول ما يفسد الصوم من كلٍّ أكل وشرب وجماع وما أشبهه من أول الفجر إلى المغرب بقصد القربة إلى الله تعالى،وهو واجب في شهر رمضان على كلّ بالغ عاقل واجد لشرائط الوجوب،وأمَّا المفطرات التي تبطل الصوم فهي: تعمد الأكل والشرب، الجماع، الاستمناء، تعمد الكذب على الله ورسوله ، بل على أحد من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم، تعمد القيء، إيصال الغبار الغليظ إلى الحلق، تعمد البقاء على الجنابة والحيض والنفاس إلى طلوع الصبح، الاحتقان بالمائع، وهذه المفطرات المذكورة تبطل الصيام وتوجب القضاء و إخراج الكفارة ،وكفارة الإفطار المتعمد في شهر رمضان هي إحدى الأمور الثلاثة: عتق رقبة مؤمنة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا،فيختار المكلف ما أحب منها،هذا إذا تعمد الإفطار بالمفطر الحلال، وأمَّا إذا أفطر بالمفطر الحرام كالإفطار بالمسكر ولحم الخنزير أو الزنا نعوذ بالله وأمثالها، فإنّه يوجب الجمع أي يجب عليه الكفارات الثلاث المتقدمة جميعها.

---

(١) الجنة: السترة، وما تسترت به من سلاح ونحوه. وفي الحديث: الصوم جنة من النار« أي يتستر به من دخول النار والمعاصي، لأنه يكسر الشهوة ويضعف القوة.

كيف نواجه مثيرات الغضب

إن هنالك بعض الإبتلاءات خاصة بالمنحرفين والفاسقين، كالشهوات المحرمة.. في حين أننا نجد أن المؤمن يصل إلى درجة من الدرجات، لا يجد في حياته موضع قدم للشيطان في مجال الشهوة المحرمة.. ولكن الشيطان إن يأس من إيقاع الإنسان في الشهوة المحرمة، فإن له سبيلا آخر.. وذلك السبيل هو عبارة عن إمضاء الغضب، والإبتلاء بما يُقال في عُرف الناس: بالعصبية.. أو بالمزاج المتكدر.. وبالخشونة في القول.

وهذا بلاء يلاحظ وجوده في كثير من المؤمنين والمؤمنات.. ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾.. فإن الذي يحطم بني آدم في الحياة إما: الشهوة وتوابع الشهوة، وإما الغضب وتوابع الغضب.. ومن الواضح أن الغيبة والبهتان والنميمة، والضرب والقتل، وكثير من المفاسد على وجه الأرض، من إفرازات حالة الغضب في جوف الإنسان!.. فماذا يعمل الإنسان كي يتخلص من هذه الحالة؟..

أولا: وقبل كل شيء عند الغضب على الإنسان أن يعطل كل حواسه.. أي لا يتكلم بأي كلام، ولا يتخذ أي قرار.. فضلا عن الحركة البدنية الفيزيائية، من مدٍّ يد أو صُراخ أو ماشابه ذلك.. لأنه في حال الغضب، فإن زمام أموره تكون إما بيد الشيطان، أو بيد النفس الأمارة بالسوء، ذلك الوجود الذي لا عقل فيه!.. ولهذا فإن أغلب الناس المؤمنين عندما تهدأ ثورة غضبهم، فإن أول خطوة يقومون بها هي الإعتذر ممن غضبوا عليهم.. فإذن إن الدرس الأول: هو عدم اتخاذ أي قرار عند الغضب أبدا.

ثانيا: الإنسان الذي يغضب لا بد وأن هنالك شيئا لم يعجبه في زوجته، أو في ولده، أو في شريكه.. فبدلاً من أخذ موقف فُجائي غير مدروس، واختصار الموضوع بكلمة نابية، أو بصراخ، أو بما شابه ذلك.. فليحاول أن يدرس جذور القضية.. فالإنسان عندما يغضب يكون هدفه من ذلك، ليس عبارة عن تسجيل موقف، بل المقصود هو تغيير الواقع.. فإذا كان هذا هو الهدف حقيقة، فعليه الذهاب للجذور.

فمثلا عندما يرى الإنسان حركة مُريبة في ولده، عليه أن يبحث عن الجذور، وعمن يُعاشر، ولماذا أصبح يكره المسجد، ولماذا يكره الصلاة؟!.. فهل العصبية والغضب والضرب هو الحل؟!.. أم أنه لا بد وأن ينتقل إلى أعماقه، فيبحث عما غيّره، حيث أنه أيام صغره كان ملتزماً بالمسجد وبالصلاة مثلا.. ولماذا تساهل الآن في أمر صلاته؟!.. ولماذا البنت أخذ حجابها ينحسر تدريجيا إلى الوراء؟.. فإذاً إن الحل هو دراسة أعماق القضية من الداخل، ليقوم بحركة جذرية في هذا المجال.

ثالثا: الالتجاء إلى الله عز وجل.. إن القرآن الكريم يذكر أبوين ابتُليا بولد منحرف فاسد ﴿وهما يستغيثان الله ويلك آمن﴾.. نعم، قبل أن يقولا: ويلك آمن!.. فإنهما يستغيثان، ويطلبان من الله تعالى المدد.. ويطلبان من الله عز وجل أن يجعل البركة في قولهما.. إن هناك تعبيرا يقال، وهو: أن الخطيب الفلاني رُزق القَبول.. ماذا تعنى كلمة «رُزق القبول»؟.. تعني أن رب العالمين جعل البركة في قوله.. فإذا رُزق الإنسان القبول في العائلة، فهنيئا له!.. فإن الكل يسمع كلامه من تلقاء أنفسهم، ومن دون زجر، أو حمرة عين، أو صراخ، أو ماشابه ذلك .

تزاحم الخواطر في الصلاة

إن أغلب الناس يشتكي من مسألة تزاحم الخواطر في الصلوات اليومية.. فالإنسان يتعجب من نفسه في بعض الحالات!.. مثلا: في ليلة القدر، يعيش حالة الإقبال طوال الليل، وعندما يريد أن يصلي صلاة الفجر؛ يرى أن هذه الخواطر تهجم عليه بشكل قهري، فلا يتمكن من التركيز والتوجه.. وفي حال الطواف، يطوف سبعة أشواط، ويقرأ بعض الأدعية البليغة والمؤثرة وبدموع جارية، ولكن عندما يريد أن يصلي ركعتي الطواف خلف المقام، أيضا تأتيه هذه الخواطر.. وكذلك عندما يذهب إلى زيارة المشاهد المشرفة، فإنه يعيش حالة شعورية راقية؛ فإذا أراد أن يصلي ركعتي الزيارة، يعيش ازدحام الخواطر.

إن المسألة عميقة جدا، وعلاج هذه الحالة قد لا يتأتى في سنوات، بل قد يحتاج الأمر إلى مجاهدة طويلة.. ومن أعلى مقامات القرب إلى الله -عز وجل- أن يعيش الإنسان حالة التركيز، عندما يريد أن يصلي.. أو حتى خارج الصلاة، عندما يريد أن يعيش حالة التوجه المركز إلى الله -عز وجل- يكون الأمر بيده.

إن هناك حلولا آنية وحلولا أساسية لهذه المشكلة..

- الحلول الآنية: وهي أن يقسم المصلي خواطره إلى قسمين:

أولاً: الخواطر القهرية: عندما يصلي الإنسان صلاة خاشعة، ويكون بناؤه على عدم السرحان، وتأتيه خاطرة معينة، فإنه يتأذى منها ويصرف نفسه عنها وقهرا.. هذا شيء جيد!.. فالخاطرة أتته، ولكنها لم تستقر في النفس.. وهذا مثل إنسان يصلي في السوق وأمامه المارة، هذا الذي يمر قد يشغله لحظات، ولكن بعد أن يغيب عن مجال البصر، لا يرى له صورة في نفسه.. كما أن هناك أفرادا يمرون أمام المصلي وهو في الحرمين الشريفين والمشاهد المشرفة، فإن صورهم لا تشغله.. كذلك في عالم الخواطر، فإنها تمر مرورا على صفحة القلب، كما أن الأفراد يمرون مرورا أمام العين.

ثانياً: الخواطر الاختيارية.. وكل المشكلة تكمن في هذه الخواطر!.. فالشيطان يعطيك رأس الخيط، وأنت باختيارك تتابع هذه الخاطرة، مثلا: الشيطان يذكرك بمشكلة وقعت بينك وبين إنسان، وقد تكون هذه المشكلة من سنوات طويلة، ونسيت الأمر.. ولكن الإنسان -بعض الأوقات- بسوء اختياره، يتابع الخاطرة السلبية.. فإذا به يكبر وتبدأ معه الخاطرة، ويسلم وتنتهي معه الخاطرة، وقد لا تنتهي!..

فإذن، نحن غير محاسبين على الخواطر اللااختيارية، إنما الحساب على الخواطر الاختيارية.. إذا صلى الإنسان، وطوال الصلاة وهو يدفع ويقارع الخواطر اللااختيارية، ولا يتابع الخيوط؛ هذا الإنسان إنسان خاشع، وصلاته مقبولة، وإن لم يخشع.. وذلك لأنه كان في كل لحظة يأتيه الشيطان بفكرة، وهو يرفض المتابعة والاستسلام للإيحاء الشيطاني، وطوال صلاته وهو في حال عراك وصراع مع إبليس.. هذا الإنسان إنسان محمود، لا يذم على هذا الشرود؛ لأنه كان في حال مجاهدة مع نفسه.

الآثار التّربوية والإجتماعية والصحّيّة للصوم

للصوم أبعاد متعددة وآثار غزيرة مادية ومعنوية في وجود الإنسان، وأهمها البعد الأخلاقي، التّربوي.

من فوائد الصوم الهامة «تلطيف» روح الإنسان، و «تقوية» إرادته، و «تعديل» غرائزه.

على الصائم أن يكفّ عن الطعام والشراب على الرغم من جوعه وعطشه، وهكذا عليه أن يكف عن ممارسة العمل الجنسي، ليثبت عملياً أنّه ليس بالحيوان الأسير بين المعلف والمضجع، وأنّه يستطيع أن يسيطر على نفسه الجامحة وعلى أهوائه وشهواته.

الأثر الروحي والمعنوي للصوم يشكّل أعظم جانب من فلسفة هذه العبادة، مثل الإنسان الذي يعيش إلى جوار أنواع الأطعمة والأشربة، لا يكاد يحس بجوع أو عطش حتى يمدّ يده إلى ما لذّ وطاب كمثل شجرة تعيش إلى جوار نهر وفير المياه، ما إنّ ينقطع عنها الماء يوماً حتى تذبل وتصفرّ.

أما الأشجار التي تنبت بين الصخور وفي الصحاري المقفرة، وتتعرض منذ أوائل إنباتها إلى الرياح العاتية، وحرارة الشمس المحرقة حيناً، وبرودة الجوّ القارصة حيناً آخر، وتواجه دائماً أنواع التحديات، فإنّها أشجار قوية صلبة مقاومة.

والصوم له مثل هذا الأثر في نفس الإنسان، فبهذه القيود المؤقتة يمنحه القدرة وقوّة الإرادة وعزيمة الكفاح، كما يبعث في نفسه النور والصفاء بعد أن يسيطر على غرائزه الجامحة.

بعبارة موجزة: الصوم يرفع الإنسان من عالم البهيمية إلى عالم الملائكة وعبارة «لعلكم تتّقون» تشير إلى هذه الحقائق.

وهكذا الحديث المعروف: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّار» يشير إلى هذه الحقائق.

وعن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنّه سئل عن طريق مجابهة الشيطان، قال: «الصَّوْمُ يُسَوِّدُ وَجْهَهُ، وَالصَّدَقَةُ تُكْسِرُ ظَهْرَهُ، وَالحُبُّ في اللهِ وَالْمُواظَبَةُ عَلَى الْعَمَلِ الصّالِحِ يَقْطَعُ دابِرَهُ، وَالاسْتِغْفارُ يَقْطَعُ وَتينَهُ».

وفي نهج البلاغة عرض لفلسفة العبادات، وفيه يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وَالصِّيَامَ ابْتِلاءً لإِخْلاَصِ الْخَلْقِ».

وروي عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «إنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُدَّعَى الرَّيَّانْ، لا يَدْخُلُ فِيهَا إلَّا الصَّائِمُونَ».

يقول أحد العلماء معلقاً على هذا الحديث: إنّما سمي هذا الباب بالريّان لأنّ مشقة الصائم إنّما تكون في الأغلب من العطش، وعند ما يدخل الصائمون من هذا الباب يرتوون حتى لا يظمأوا بعده أبداً.

الأثر الاجتماعي للصوم لا يخفى على أحد. فالصوم درس المساواة بين أفراد المجتمع،

الموسرون يحسّون بما يعانيه الفقراء المعسرون، وعن طريق الاقتصاد في استهلاك المواد الغذائية يستطيعون أن يهبّوا لمساعدتهم.

قد يمكن تحسيس الأغنياء بما يعانيه الفقراء عن طريق الكلام والخطابة، لكن المسألة حين تتخذ طابعاً حسّيّاً عينيّاً لها التأثير الأقوى والأبلغ، الصوم يمنح هذه المسألة الهامة الاجتماعية لوناً حسياً، لذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام في جواب عن سؤال بشأن علّة الصوم: «إنَّما فَرَضَ اللهُ الصِّيَامَ لِيَسْتَوِيَ بِهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَذلِكَ إنَّ الْغَنِيَّ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدَ مَسَّ الْجُوعِ فَيَرْحَمَ الْفَقِيرَ، وَإنَّ الْغَنِيَّ كُلَّمَا أَرَادَ شَيْئاً قَدَرَ عَلَيْهِ فَأَرَادَ اللهُ تَعَالى أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَنْ يُذِيقَ الْغَنِيَّ مَسَّ الْجُوعِ وَالأَلَمِ، لِيَرِقَّ عَلَى الضَّعِيفِ وَيَرْحَمَ الْجَائِعَ».

ترى، لو أنّ الدول الغنية في العالم صامت عدّة أيّام في السنة وذاقت مرارة الجوع، فهل يبقى في العالم كل هذه الشعوب الجائعة؟!

البقيع .. جريمة !

حسن محمد الأنصاري

صورة قديمة لقبور أهل البيت سلام الله عليهم في البقيع في المدينة المنورة

تكرار مسلسل إهانة رجال هيئة الأمر بالمعروف لزوار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبور الأئمة والشهداء في البقيع بالتوبيخ والضرب، مستغلين ضعف وعدم قدرة الزوار في المواجهة احتراما وتقديسا لوجودهم في تلك البقع المباركة بحاجة للمزيد من الضغوطات السياسية من المنظمات الدينية والحقوقية والانسانية الدولية، حتى يكف هؤلاء عن إلحاق الأذى بمشاعر الذين يقطعون مئات وآلاف الأميال، حبا في زيارة نبيهم نبي الرحمة الذي لم يؤذ مخلوقا قط في حياته! هذا النبي الذي اختير الشخصية الأولى على تاريخ البشرية قاطبة والذي احتار الواصفون بكرم أخلاقه في كيفية تعامله مع أعدائه. فهل في زيارته وزيارة البقيع من جريمة؟!.

قبر النبي (ص) ليس رمزا أو أثرا تاريخيا بحاجة إلى «بودي غارد» يقومون على حراسته بل بحاجة لمن يتطوع ويقوم بخدمة الزوار، وإلا بماذا نال جلالة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الشرف أن يكون خادما للحرمين الشريفين!. قبر النبي (ص) جزء من المسجد النبوي، كما الكعبة جزء من الحرم المكي ومن يأتي زائرا مقرا معترفا بأن محمدا صلى عليه وآله وسلم عبد الله ورسوله وصلى ركعتين هدية له أو لمسجده وقرأ «السلام عليك أيها البشير النذير السلام عليك أيها الداعي الى الله والسراج المنير..»، فهل في الأمر بدعة؟!. بل حين يتعمد المرء جفاء النبي (ص) ولا يقصد البقيع إلا للفرجة فإنه مبتدع ضال!. نضم نداءنا مع من ناشد حكومة خادم الحرمين الشريفين على سرعة التدخل للافراج عن المواطن الكويتي «علي منصور الغريب» والمعتقل في احد سجون السعودية.

والناشط السياسي السيد «عبدالعزيز الخميس» المشرف العام على المركز السعودي لحقوق الانسان أيضا تقع عليه مسؤولية الاتصال والتنسيق مع علماء ورجال الدين المعتدلين والناشطين السياسيين والمنظمات والمؤسسات الحقوقية والانسانية الدولية لاطلاق «يوم البقيع» من خلال حملة شعبية عالمية مع تكثيف الندوات والمؤتمرات، بهدف إنهاء سيطرة رجال الهيئة وحماية زوار قبر النبي (ص) والبقيع حتى تنقطع عنهم مسلسلات العنف والاهانة ويمنع احتجازهم، فإن زوار النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يريدون إلا الشعور بالأمان وهم يتعبدون ولا يريدون إلا العودة لديارهم بعد إنهاء أعمالهم، وإن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يقبل الأعمال أو يردها، ورجال الهيئة لم يتم اختيارهم من قبل الله ورسوله، وليس من الحكمة أن يعطوا انطباعا سيئا باستخدام العنف والاهانة، والقيادة السياسية في السعودية تسعى دوما للانفتاح على المنظمات والمؤسسات الدولية وتتجه نحو تعزيز معالم الحياة المدنية المتحضرة الراقية.

آخر لحظات في حياته

احمد السيلاوي

عاد من العمل متأخراً، دخل بيته واحتضن أطفاله، وبعد أن أودعتهم أمهم غرفتهم عادت لتسأله عن يومه. وفي منتصف حديثهما أحس بغثيان وألم شديد في رأسه، فذهب ليتناول حبة مسكنة لكي تخفف هذا الألم المفاجئ، وإذا بزوجته تسمع ضجة في الغرفة. هرعت إليه فوجدته ملقى على الأرض مغشياً عليه.

بعد ساعات في المستشفى جاءها الطبيب منكسا رأسه وقال لها: "زوجك يعاني من سرطان في المخ" فسقطت هي الأخرى مغشياً عليها. وعندما استيقظت وتذكرت ما مر بها خلال الساعات الأخيرة ظنت أنها كانت تحلم، ولكن عندما رأت (بعض) أفراد أسرتها ملتفين حول سريرها يبكون أيقنت أن الكابوس أصبح حقيقة.

لم تستطع أن تستوعب الصدمة التي نزلت عليها مثل الصاعقة، فبالأمس كان زوجها يداعب أطفاله ويضحك معهم، وقبل أيام حجز لأسرته رحلة سياحية لقضاء الصيف، وقبل أسبوع اشترى سيارة جديدة كان يحلم بها منذ كان طفلاً... وقبل أسبوع أيضاً وعدها أن يمارس الرياضة وينتبه لنفسه. فلقد أصابته حمى قبل مدة ورمته طريحاً في الفراش لأكثر من أسبوع، وعلى الرغم من أن طبيبه لم يعرف سبب الحمى إلا أنه أكد له بأنها ردة فعل طبيعية من الجسم تجاه ضغوطات العمل التي يتعرض لها. وبعد أن رحلت الحمى - غير بعيد - وعد زوجته بأن يعمل خلال ساعات العمل فقط، وأن يأكل ثلاث وجبات في اليوم وأن يحافظ على ممارسة الرياضة كل يوم... وعدها بأن يعود إنساناً مثلما كان، فبعد أن سلبته الحياة إنسانيته ومنحته مقابل ذلك مادياتها التي لا تنتهي، انتبه أنه لا يعرف كم عمر أحد أبنائه، وعندما سُئل مرة عن اسم الفصل الذي تدرس به ابنته فوجئ بأنه لا يعرفه... بل فوجئ أكثر عندما حاول أن يتذكر اسم مدرسة ابنته فلم يستطع.

استيقظ بعد أيام في المستشفى ورأى زوجته تبكي، وعندما أخبروه بأن حالته المرضية متأخرة جداً بكى هو أيضاً... بكي حتى ابتل سريره وابتلت معه ثياب زوجته التي لم تستطع أن

تكف عن الموت معه في كل لحظة. أرسل الأطباء تقاريره إلى أحد المستشفيات العالمية وجاء الجواب: "ليبقى في بلده، فموته لن يتأخر" عندها صارحه الطبيب قائلاً: "أستطيع أن أخدعك وأقول لك بأن هناك أملا، ولكن واجبي يحتم علي أن أخبرك بالحقيقة... ستدخل في غيبوبة خلال الأسابيع المقبلة، ومن ثم ستموت لأن المرض قد استفحل في جسدك ولم تعد هناك فائدة من الأدوية... سنكتفي بالمسكنات حتى يحين الوقت، أنا متأسف" وأشاح بوجهه وعيناه تفيض بالدموع. هو لا يعرفه، ولكنها لحظة إنسانية تجردنا من جميع أقنعة الحياة وتجبرنا على التعامل معها وكأننا أطفال كبار.كل يوم يستيقظ صديقنا من نومه وهو يفكر في الموت ويتذكر جميع تفاصيل حياته. وحاول أن يتذكر اسم إمام المسجد الذي كان يصلي به ولكنه لم يستطع. تذكر أنه لم يعد يرى أمه وأباه كل يوم كما جرت عليه العادة، بل إنه لم ير أمه منذ ثلاثة أشهر لانشغاله بالسفر وبأعباء الوظيفة، تمنى في تلك اللحظة لو أنه يراها فيبكي عند قدميها ليشفي غليله من الأيام التي أنسته حتى رائحة عباءتها العبقة ببخور الماضي وبطمأنينة الحاضر.

كل يوم يمر عليه يعي قيمة الأشياء من حوله، ويعي تفاهة الأشياء أيضاً. كان يتمنى أن يقود سيارة ما وهاهو يحقق حلمه، ولكنه نسي أن يتمنى ألا يطغى حب الأشياء في قلبه على حب الأشخاص. كلما أراد أن يكتب وصيته يتذكر أنه مازال في مقتبل العمر، ويتذكر الحكمة التي تقول إن موت الشباب كسفينة تتحطم وموت الشيوخ كسفينة ترسو في الميناء... وها هو جالس في غرفة هادئة مظلمة كسفينة تتحطم في الميناء... دون أن تثير موجاً أو حتى تحرك ساكناً.

صحيح أن الموت يفتح باب الشهرة ويغلق باب الحسد كما تقول الحكمة، ولكنها حكمة للعظماء فقط، وهو بعيد كل البعد عن العظمة، وعن الحكمة أيضاً. عرف أنه في الساعات القليلة المتبقية من عمره لن يستطيع أن يحقق شيئاً عظيماً، وبالتالي لن يستطيع أن يقول كما قال (كونفيشيوس) قبل أن يسلم وجهه: "لقد علّمت البشر كيف يعيشون" وعلم أن نهايته لن تتوج أعماله كما قال (شكسبير) وما زاد طينته بلّة أنه تذكر أنه سيرحل من هذه الدنيا وهو مدين لشركة السيارات.

في آخر لحظات حياته طلب من أمّه أن تكون إلى جانبه مثلما كانت إلى جانبه حينما ولد... وطلب من أبيه عندما يسمع آخر تأوّه له أن يفرق صدقة على المرضات مثلما فعل عندما سمع أول صرخة له... وطلب أيضاً من زوجته أن تخبره عن اسم الصف الذي تدرس فيه ابنته.

وإن الإمام -عليه السلام- في توقيعه الشريف يقول: (ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته)؛ أي نعم التزموا بخط الطاعة.. هنيئاً لمؤمن ينظر إلى قلبه، فلا يرى فيه غلا لأحد، لأن القلب إذا انشغل بالحقد والعداوة، هذا الإنسان يصلي يقول: الله أكبر!.. وإذا بالخصم أمام عينيه.. في عالم الصلاة الذي يأتي في بال المصلي شخصيتان: إما المحبوب: حُباً إنسانياً، أو حُباً شهوياً.. أو المبغوض؛ إذا بغضت إنسانا يأتيكَ رغمَ أنفك.. وإذا أحببت إنسانا أو إنسانة أيضاً تأتيك رغمَ أنفك.. هذه طبيعة القلوب، نعم رب العالمين هكذا يملأ القلب بما يتناسب مع فعل العبد، فالإنسان الذي ينظر إلى قلبه فلا يرى فيه شيئاً إلا الله، هنيئاً له!.. إن الله -تعالى- يقول: (أيما عبد اطلعت على قلبه، فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري؛ توليت سياسته، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه)؛ أي جزاء الذي يفرغ قلبه من كُل شاغل سواه، ربُ العالمين يُصبح مربياً له.. ربُ العالمين يتحول إلى محدث وجليس (يا إلهي الحقيق!.. يا ركني الوثيق!.. يا جاري اللصيق!.. يا موالاي الشفيق!.. يا رب البيت العتيق)!.. نحنُ أهملنا هذه المراتب، وحرمنا هذه المراتب لسوء اختيارنا.

فإذن هنيئاً لمؤمن ينظر إلى قلبه فيعيش مشاعر أهل الجنة، أهل الجنة عندما يدخلون الجنة ربُ العالمين ينزع ما في قلوبهم من غلٍ.. لأنه لو بقي هذا الغل؛ فإن الإنسان لن يتهنأ لا بالجنة ولا بالحور!..

الإنسان الحسود إنسان سخيف

وسفيه، إنسان يحرق نفسهُ في مقابل نعمة الآخرين، يقول الشاعر:

صبرك على الحسود فإن صبرك قاتله ×× كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

يقول في هذه التوقيع المبارك: (لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا).. إن تاريخ الغيبة أشبهُ ما يكون بسلة العملات الأجنبية، هذه الأيام بعض العملات عملات ترتفع يوماً وتنزل يوماً، ما المشكلة أن يكون تاريخ الغيبة في علم الله -عز وجل- تاريخاً متأرجحاً؛ بمعنى أن الله -عز وجل- قدر الظهور في تلكَ السنة، ولكن لذنوب البعض، وتقاعس البعض؛ تأجل هذا التأريخ.. فبني إسرائيل كُتبَ لهم النجاة، ولكن بعد سنوات طويلة، بفعلهم الإيجابي؛ نعم كانت لهم حركات إيجابية أيضاً، رب العالمين قدمَ النصرَ لهم.. ممكن لرب العالمين أن يعجل فرجَ وليه مئة سنة، أو خمسين، أو عشر سنوات، أو سنة واحدة؛ ببركات دعوة مؤمن أو مؤمنة.. مؤمن متشبث بأذيال الكعبة، وهو بثياب الإحرام، ودموعهُ تجري على خديه ويقول: (يا رب، عجل لوليك الفرج) من كُل وجوده.. يأتي النداء الإلهي لوليه المهدي: يا أبا صالح المهدي، قدمنا من فرجك سنةً كاملة لدعوة فلان المتشبث بأستار الكعبة.. يا تُرى إمامنا بم يدعو لهُ، هذا الذي صار سبباً لفرجه سنة، أو سنتين، أو عشرة، أو عشرين؟.. وما ذلكَ على الله بعزيز، خزائنهُ بينَ الكاف والنون.

(ولتعجّلت لهم بالسعادة بمشاهدتنا).. هذه الكلمات من الإمام شبيهه بالمقتل، كيفَ أن المقتل يثير البكاء والحزن، فإن عتابيات المهدي -صلواتُ الله وسلامهُ عليه- حقيقةً تُدمي القلوب.. طبعاً القلوب المحبة؛ مثلا: لو تأتيك رسالة من ابنك وهو في بلاد الغرب، وهو يشكو بعض ما هو فيه.. فإن الأم عندما تقرأ الرسالة تبكي لحال ولدها عندما يشكو أمرهُ.. إمامنا -صلوات الله وسلامه عليه- يشكو أمرهُ.. يقول: (فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا تؤثره منهم)، بعض الناس هذه الأيام قد يسمع الأخبار المحزنة التي تجري على المسلمين، ولا يتأوه أبداً.. بينما المؤمن موجود حساس، على الأقل سل الله الفرج، كلما رأيت خبراً مزعجاً.. رب العالمين رأى مقتولاً قبل آلاف السنين وهو هابيل، فخلد ذكرهُ لأنه قُتل مظلوماً.. فكيفَ بإنسان يقتل في بيت من بيوت الله، في مشاهد أئمة أهل البيت.. وكيف إذا رأيت في كل ساعة، وفي كل دقيقة شريطاً إخبارياً مزعجاً؟!.. الإمام -عليه السلام- هكذا وضعه؛ يقول: (يتّصل بنا ممّا نكرهه).. أحدنا لو يرتكب في كل يوم ذنباً واحداً، يكون هناك أخبار مزعجة بعدد الموالين.. والإمام -عليه السلام- يحمل همَ المستضعفين جميعاً، نقرأ في دعاء العهد: (وناصراً لمن لا يجدُ لهُ ناصراً غيرك)، نعم الذي هو مستضعف على وجه الأرض، يدخل في خانة اهتماماته (صلوات الله وسلامه عليه).

الجمعية
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زوروونا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا.. الهاتف / بدالة ٣٣٣٦٠٠ داخلي ١٩٢
تحرير: السيد محمد العطار
تصميم واخراج: احمد السيلاوي